القبائل العربية التي تعيش في العراق والملوك الساسانيين عشية وصول المسلمين إلى إيران

Arab Tribes Living in Iraq and the Sassanid Kings on the Eve of the Arrival of Muslims in Iran

أ.م.د. سيد علاء الدين شاهرخي

Asst. Prof. Seyyed Alaeddin Shaherkhi
shahrokhi.a@lu.ac.ir

مصطفى صاحب طاهر

Mustafa Sahib Taher
mastsahb@gmail.com

محمد كبتن ناعس

Muhammad Captain Naees
bycgxp@gmail.com

سيف سعد هاتف

Saif Saad hatef
Yosifu064@gmail.com

علي غالب موزان

Ali Ghaleb Mozan
aligivara94@gmail.com

قسم التاريخ/ كلية الاداب والعلوم الإنسانية/ جامعة لرستان

History Dept./College of Arts and Human Sciences/Lorestan University

الملخص

شهدت منطقة وادي الرافدين، المعروفة أيضًا ببلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات)، تطور العديد من الحضارات الإنسانية يعود أقدمها وفقًا للمعلومات المتاحة للمؤرخين إلى عام ٣٧٠٠ قبل الميلاد، وهي الحضارة السومرية العربية. أصل سكان العراق يرجع إلى القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى وادي الرافدين في الألف السادسة قبل الميلاد. في هذه الفترة، تم توثيق نزوح القبائل العربية من جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب بشكل عام ومنطقة نهر الفرات بشكل خاص. الحضارة السومرية العربية تعاونت مع العرب في بناء حضارتها، حيث أسهم السومريون بالكتابة المسمارية، والعرب بخبرتهم في هندسة الري والزراعة وصناعة الأدوات والتجارة.

تنبع ضرورة البحث في بيان القبائل العربية التي تعيش في العراق والملوك الساسانيين عشية وصول المسلمين الى إيران وفي البحث حول بيان القبائل العربية التي كانت تعيش في العراق قبل وصول المسلمين إلى إيران، يمكن التركيز على عدة نقاط مهمة وهي تحليل البيانات الأثرية: دراسة المصادر الأثرية والتاريخية التي توثق تواجد القبائل العربية في منطقة وادي الرافدين وتأثيرها على التطورات الاجتماعية والثقافية في تلك الفترة.

دور الملوك الساسانيين: فحص تأثير حكم الملوك الساسانيين على تكوين الهوية الثقافية والسياسية للقبائل العربية في المنطقة، وكيف تفاعلت هذه القبائل مع هياكل الحكم الساسانية. العلاقات بين القبائل والسلطة الساسانية: استكشاف طبيعة العلاقات بين القبائل العربية والحكومة الساسانية، بما في ذلك التحالفات والصراعات، وكيف تأثرت هذه العلاقات بالتغيرات السياسية والاقتصادية.

ان البحث يهدف إلى فهم الديناميات والتفاعلات بين القبائل العربية التي كانت تعيش في العراق وحكومة الملوك الساسانيين قبل وصول المسلمين إلى إيران. يشمل الهدف الرئيسي للبحث في تحليل التأثير الثقافي والاجتماعي عن طريق فهم كيف تأثرت القبائل العربية في العراق بالسياق الثقافي والاجتماعي لتلك الفترة، وكيف تشكلت هويتهم في استكشاف العلاقات السياسية عن طريق فهم كيف تشكلت هذه العلاقات وتأثرت بالظروف السياسية والاقتصادية. تحليل دور القبائل في السياق الإقليمي وفحص كيفية مشاركة القبائل العربية في الأحداث الإقليمية وتأثيرها على السياق الإقليمي.

الكلمات المفتاحية: القبائل العربية، الملوك الساسانيين، وصول المسلمين، إيران

Abstract

The Mesopotamia region, also known as Mesopotamia (Tigris and Euphrates) or Mesopotamia, witnessed the development of many human civilizations. The oldest of them, according to the information available to historians, dates back to 3700 BC, and is the Sumerian-Arab civilization. The origin of the population of Iraq goes back to the Arab tribes that migrated from the Arabian Peninsula to Mesopotamia in the sixth millennium BC.

In this period, the exodus of Arab tribes from the Arabian Peninsula to the Fertile Crescent in general and the Euphrates River region in particular was documented. The Sumerian-Arab civilization cooperated with the Arabs in building its civilization, as the Sumerians contributed their cuneiform writing, and the Arabs contributed their expertise in irrigation engineering, agriculture, tool making, and trade.

The necessity of researching the statement of the Arab tribes that lived in Iraq and the Sassanian kings on the eve of the Muslims' arrival in Iran stems from the need to research the statement of the Arab tribes that lived in Iraq before the arrival of the Muslims in Iran, it is possible to focus on several important points, which are the analysis of archaeological data: the study of archaeological and historical sources. It documents the presence of Arab tribes in the Mesopotamia region and their impact on social and cultural developments in that period.

The role of the Sassanian kings: Examining the impact of the rule of the Sassanian kings on the formation of the cultural and political identity of the Arab tribes in the region, and how these tribes interacted with the Sassanian

governance structures. Relations between the tribes and Sassanian authority: Exploring the nature of relations between Arab tribes and the Sassanid government, including alliances and conflicts, and how these relations were affected by political and economic changes.

The research aims to understand the dynamics and interactions between the Arab tribes that lived in Iraq and the government of the Sassanian kings before the Muslims arrived in Iran. The main objective of the research includes analyzing the cultural and social influence by understanding how the Arab tribes in Iraq were influenced by the cultural and social context of that period, and how their identity was formed.

Exploring political relations by understanding how these relations were formed and influenced by political and economic conditions.

Keywords: Arab tribes, Sassanian Kings, Arrival of Muslims, Iran

المقدمة

أولا: بيان المسألة

شهدت منطقة وادي الرافدين، المعروفة أيضًا ببلاد ما بين النهرين (دجلة والفرات) أو Mesopotamia تطور العديد من الحضارات الإنسانية. يعود أقدمها، وفقًا للمعلومات المتاحة للمؤرخين، إلى عام ٣٧٠٠ قبل الميلاد، وهي الحضارة السومرية العربية. أصل سكان العراق يرجع إلى القبائل العربية التي هاجرت من الجزيرة العربية إلى وادي الرافدين في الألف السادسة قبل الميلاد.

في هذه الفترة، تم توثيق نزوح القبائل العربية من جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب بشكل عام ومنطقة نهر الفرات بشكل خاص. الحضارة السومرية العربية تعاونت مع العرب في بناء حضارتها، حيث أسهم السومريون بالكتابة المسمارية، والعرب بخبرتهم في هندسة الري والزراعة وصناعة الأدوات والتجارة.

تمتد تأثيرات الحضارة السومرية العربية إلى إيران وبلاد الأناضول ومصر. شهدت الفترة من ٢٣٥٠ إلى ٢٢٠٠ قبل الميلاد تأسيس الدولة الأكدية على يد القائد الأكادي سرجون الأول، حيث استمرت في السيطرة على المنطقة الهلالية وبلاد العيلاميين وبعض الأناضول. من ٢١٣٣ إلى ٢٠٠٣ قبل الميلاد، عاشت السومريون والأكاديون مرحلة جديدة من التعاون، حيث أقاموا مملكتهم المشتركة حتى سقطت على يد العيلاميين في عام ٢٠٠٣ قبل الميلاد. توالت الأحداث، واستمر التوافد العربي في فترة الدولة البابلية الأولى (من ١٨٩٤ إلى ١٥٩٤ قبل الميلاد)، حيث أسس العموريون الدويلات مثل دولة آشور وإيسن ولارسا وبابل. اشتهر ملكهم حمورابي بشريعته الشهيرة. انتقلت الأحداث إلى الفترة الإمبراطورية الساسانية (٢٢٦ – ٦٥١)، حيث انتهت بفعل مقاومة جيوش الخلافة الإسلامية. وشهدت الهجمات العربية على إيران تحول الإيرانيين تدريجيًا إلى الإسلام.

ثانياً: ضرورة البحث

تنبع ضرورة البحث في بيان القبائل العربية التي تعيش في العراق والملوك الساسانيين عشية وصول المسلمين الى ايران. في البحث حول بيان القبائل العربية التي كانت تعيش في العراق قبل وصول المسلمين إلى إيران، يمكن التركيز على عدة نقاط مهمة:

تحليل البيانات الأثرية: دراسة المصادر الأثرية والتاريخية التي توثق تواجد القبائل العربية في منطقة وادي الرافدين وتأثيرها على التطورات الاجتماعية والثقافية في تلك الفترة.

دور الملوك الساسانيين: فحص تأثير حكم الملوك الساسانيين على تكوين الهوية الثقافية والسياسية للقبائل العربية في المنطقة، وكيف تفاعلت هذه القبائل مع هياكل الحكم الساسانية.

العلاقات بين القبائل والسلطة الساسانية: استكشاف طبيعة العلاقات بين القبائل العربية والحكومة الساسانية، بما في ذلك التحالفات والصراعات، وكيف تأثرت هذه العلاقات بالتغيرات السياسية والاقتصادية.

تحليل السياق الثقافي والاجتماعي: دراسة السياق الثقافي والاجتماعي الذي عاشت فيه القبائل العربية، مع التركيز على مظاهر الحياة اليومية والنظام الاجتماعي والاقتصادي.

التأثير الثقافي للمسلمين في إيران: فهم كيف تأثرت القبائل العربية في العراق بوصول المسلمين إلى إيران، وكيف أثرت هذه الأحداث على هويتهم وتفاعلهم مع المجتمع الإسلامي الجديد.

من خلال تحليل هذه الجوانب، يمكن أن يساعد البحث في توفير رؤية شاملة حول العلاقات الثقافية والاجتماعية في تلك الفترة الزمنية المهمة.

ثالثا: اهداف البحث

يهدف البحث في بيان القبائل العربية التي تعيش في العراق والملوك الساسانيين عشية وصول المسلمين الى ايران يهدف إلى فهم الديناميات والتفاعلات بين القبائل العربية التي كانت تعيش في العراق وحكومة الملوك الساسانيين قبل وصول المسلمين إلى إيران. يشمل الهدف الرئيسي:

تحليل التأثير الثقافي والاجتماعي: فهم كيف تأثرت القبائل العربية في العراق بالسياق الثقافي والاجتماعي لتلك الفترة، وكيف تشكلت هويتهم في هذا السياق.

استكشاف العلاقات السياسية: دراسة العلاقات بين القبائل العربية وحكومة الملوك الساسانيين، وفهم كيف تشكلت هذه العلاقات وتأثرت بالظروف السياسية والاقتصادية.

تحليل دور القبائل في السياق الإقليمي: فحص كيفية مشاركة القبائل العربية في الأحداث الإقليمية وتأثيرها على السياق الإقليمي

توضيح التحولات الثقافية بعد وصول المسلمين إلى إيران: فهم كيفية تأثير وصول المسلمين إلى إيران على القبائل العربية في العراق، وكيف قد تغيرت ديناميات العلاقات والهويات في هذا السياق.

إلقاء الضوء على الأحداث الرئيسية: التركيز على الأحداث الرئيسية التي شهدتها المنطقة خلال تلك الفترة، وكيف أثرت على العراق وقبائله.

باختصار، يهدف البحث إلى رسم صورة شاملة للعلاقات والتفاعلات بين القبائل العربية وحكومة الملوك الساسانيين، وكيف تأثرت تلك الديناميات بوصول المسلمين إلى إيران.

رابعا: اشكالية البحث

اشكالية البحث يمكن صياغتها كتساؤل محدد يوجه جهود الباحث نحو تحليل وفهم عميق للموضوع. في هذا السياق، يمكن توجيه الاشكالية كالتالي: "كيف تأثرت العلاقات بين القبائل العربية التي كانت تعيش في العراق وحكومة الملوك الساسانيين قبل وصول المسلمين إلى إيران، وكيف كان لوصول المسلمين إلى إيران تأثير على هوية وموقع هذه القبائل في السياق الاقليمي؟"

«المبحث الأول»

التأثير الثقافي ودور القبائل العربية التي تعيش في العراق

ان بعض المصادر يُعرف مسالة الفتح العربي لايران بفتح العرب لفارس (بالفارسية: فتح إيران على يدي العرب)، وهو سلسلة من الحملات العسكرية التي شنها المسلمون على الإمبراطورية الفارسية الساسانية المتاخمة لحدود الخلافة الراشدة. أدت هذه الفتوحات إلى انهيار الإمبراطورية الساسانية وتراجع الديانة المجوسية في إيران، حيث اعتنق الفرس الإسلام. بدأت هذه الفتوحات في عهد أبي بكر الصديق بغزو المسلمين للعراق، المركز السياسي والاقتصادي للإمبراطورية، في سنة ١١ هـ الموافقة لعام ٦٣٣م، بقيادة خالد بن الوليد، واستمرت حتى استكمال فتح العراق بأكمله.

ثم نُقل خالد إلى الجبهة الرومية بالشام لاستكمال الفتوحات، وتعرض المسلمون في العراق لهجوم مضاد من الفرس، مما أدى إلى خسارة مكتسباتهم مع خالد بن الوليد. بدأت الموجة الثانية من الفتوحات تحت قيادة سعد بن أبي وقاص في سنة ١٤ هـ الموافقة لعام ٦٣٦م، حيث كان النصر الحاسم في معركة القادسية التي أنهت سيطرة الساسانيين على الجبهة الغربية لفارس. انتقلت الحدود الطبيعية بين الدولة الإسلامية الناشئة والفرس من العراق إلى جبال زاجروس. ولكن نظرًا للهجمات المستمرة للفرس على العراق، أمر الخليفة عمر بن الخطاب بتجريد الجيوش لفتح باقي بلاد فارس في سنة ٢١ هـ الموافقة لعام ٦٤٢م، ولم تمر سوى سنتين حتى استكمل القضاء على تلك الإمبراطورية وفتح فارس بأكملها في سنة ٢٣ هـ الموافقة لعام ٦٤٤م[١].

(١) أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٩٨٠ م]، الطبعة: الثانية ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م، بيروت، دار التراث، ص٩٦

المطلب الأول: التأثير الثقافي القبائل العربية التي تعيش في العراق عند فتح ايران

أحدث العرب المسلمون ثورة اجتماعية ودينية في بلاد إيران ونجحوا في إقامة مجتمع جديد على أساس المساواة والعدالة والمعاملة الحسنة فأصبحت إيران ولاية إسلامية شاركت بجنودها في استكمال الفتوحات الإسلامية جنباً إلى جنب العرب حيث هاجرت قبائل عربية إلى مناطق مختلفة في إيران وأقامت هناك[١].

وعندما قامت الخلافة الأموية خضعت جميع الأراضي المفتوحة لنفوذها خضوعاً تاماً (٤١ ـ ١٣٢هـ) فقسمت البلاد المفتوحة إلى أقاليم وعينت على كل منها حاكماً، وأمر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان بتعريب الدواوين فخضعت جميع الأعمال المتعلقة بتنظيم الحكم والإدارة لأيدي الموظفين الذين يجيدون اللغة العربية من أهالي الأمصار وقد شارك الإيرانيون بخبراتهم الإدارية والحضارية في أعمال الدولة وأقبلوا على تعلم اللغة العربية إقبالاً كبيراً حتى أصبحت اللغة العربية هي اللغة السائدة في إيران طوال حكم الخلافة الإسلامية وحتى قيام الدويلات المحلية في إيران[٢].

تذكر العديد من المصادر التاريخية أن القبائل العربية عرفت الهجرة إلى الأراضي الفارسية منذ فترة مبكرة من التاريخ. بعد الإسلام، تمكن العرب من الانتصار على جيوش الإمبراطورية الفارسية الساسانية، وأدى ذلك لتزايد وتيرة الهجرات العربية إلى الأراضي الإيرانية، على سبيل المثال يتحدث الجغرافي ياقوت الحموي في القرن السابع الهجري في كتابه "معجم البلدان"، عن مدينة قم المقدسة في إيران، فيذكر أن قبائل

(١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م): تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الزهراء، قم المقدسة، ١٣٨٧ هـ، الجزء ١، ص١٩٩.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع، (مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧ م)، ص ٧٧ ـ ٧٨؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت، ٣٥٠ هـ/ ٩٦١): صورة الأرض: (مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢ م)، ص٣٩. ص١٤٢

الأشاعرة اليمنيين هم الذين بنوها وعمروها بعد أن انتقلوا للسكن فيها، مبيناً: "هي مدينة إسلامية مستحدثة لا أثر للأعاجم فيها".

بالنسبة الى برنارد لويس، كان صعود الإسلام بمثابة ثورة لم تحقق سوى نجاح جزئي. والسبب في ذلك هو التوتر القائم بين الدين الجديد والهياكل الاجتماعية القائمة في الأراضي التي فتحها المسلمون. نشأت منطقة توتر رئيسية من الطبيعة المساواتية للمعتقدات الإسلامية. منذ البداية، رفض الإسلام الفروق الطبقية ومزايا الطبقة الأرستقراطية، واختار أسلوبًا كان فيه الدخول إلى مختلف المهن مفتوحًا للأفراد الموهوبين. ويقول لويس إن المساواة الكاملة في الإسلام، بالطبع، كانت مقتصرة على الذكور المسلمين الأحرار، ولكن حتى هذا كان بمثابة تقدم كبير للغاية مقارنة بما كان متعارف عليه في إيران القديمة واليونان وروما. يعتقد لويس أنه في معظم الأمور السياسية والعامة، استمرت التقاليد القديمة واستمرت تحت ستار إسلامي، خاصة في إدامة الشكل الملكي والاستبدادي للحكومة[1].

نُظر إلى الغزو العربي في إيران بطرق مختلفة: البعض يراه حدثا مباركا، وإدخال الدين الصحيح، ونهاية عصر الجاهلية وعبادة الأصنام، والبعض الآخر يراه هزيمة وطنية مذلة، وفتحا [الغزو] وسيطرة القوات الأجنبية على البلاد؛ وبطبيعة الحال، كلا الرأيين صحيحان، حسب وجهة النظر...؛ إيران أصبحت إسلامية بالفعل، لكنها لم تصبح عربية. الإيرانيون ظلوا إيرانيين. وبعد فترة من الصمت، ظهرت إيران كجزء منفصل ومختلف داخل الإسلام، وأضفت أخيرًا بعدًا جديدًا للإسلام نفسه.

إن المشاركة الثقافية والسياسية والدينية (الأكثر لفتًا للانتباه) للإيرانيين في الحضارة الإسلامية لها أهمية استثنائية...؛ بمعنى ما، الإسلام الإيراني هو إعادة دخول الإسلام؛ الإسلام الجديد، والذي يشار إليه أحيانًا باسم عجم الإسلام ؛ لقد كان

(١) ابن جوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم، المحقق: خورشيد أحمد فاروق، الناشر: عالم الكتب، بيروت، نشر الكتاب: ١٤٢٤ – ٢٠٠٤، ص٤١٣.

الإسلام الإيراني (وليس الإسلام العربي) هو الذي انتقل إلى مناطق جديدة وأشخاص جدد[١].

وفقاً لإلتون دانييل، كان الهجوم العربي على إيران بمثابة كارثة مدمرة بقدر ما كان حافزاً إبداعياً. بالإضافة إلى ذلك، شارك الإيرانيون في تشكيل الحضارة الإسلامية على الأقل بقدر ما تلقوه، إذا كان بإمكاننا التحدث عن ثقافة إيرانية إسلامية منفصلة. إن عملية الانتقال من الفترة الساسانية إلى الفترة الإسلامية هي مزيج من الاستمرارية والتحول[٢].

يعتبر ريتشارد فراي أن تأثير الإسلام (الذي يسميه "دين المساواة") على إيران هائل. وقد حدث هذا التأثير رغم تجاوزات وإساءة العرب الذين جلبوه إلى إيران. ووفقا له، فإن تركيز المؤرخين المعاصرين على العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الهجمات العربية لم يسبب سوى القليل من الاهتمام لقوة وتأثير الأيديولوجية الإسلامية الجديدة على إيران. يعتقد ريتشارد فراي أن التفاعل والتوحيد بين المجالات الثقافية لشرق وغرب إيران في ظل الإسلام خلق وحدة لم تكن موجودة في إيران منذ الفترة الأخمينية، علاوة على ذلك، لا يمكن مقارنة استمرارية الفترة الأخمينية بجميع فتراتها. – الوحدة الشاملة في ظل الإسلام في إيران. وفقًا لفراي، "في ظل الإسلام فقط، تم تشكيل الأدب الملحمي العام للإيرانيين، وهو مزيج من القصص البطولية الشرقية والتاريخ النثري لمعظم غرب إيران.

وفي ظل الإسلام فقط، ظهر إلى الوجود فهم وحدة وهوية الإيرانيين، المختلفين عن العرب. يمكن الافتراض أنه في القرن الخامس الميلادي، اعتبر أحد الإيرانيين

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، ص١٣٣.

(٢) ابن جوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم، المحقق: خورشيد أحمد فاروق، الناشر: عالم الكتب، بيروت، نشر الكتاب: ١٤٢٤ – ٢٠٠٤، ص٤١٣.

الذين تعلموا في فارس أن السغديان من وادي فرغانة غريب تمامًا. وبعد خمسة قرون، كان الإيراني الذي تلقى تعليمه في فارس يعتبر الصغديان من وادي فرغانة أقربائه الكاملين، بينما يميز العرب عنه[1]. وقد ورد في المصادر أن العرب الإسلاميين نشروا الإسلام في إيران عن طريق الضغط وفي عملية أسلمة طويلة صاحبها تعذيب الزرادشتيين. كان تدمير المكتبات والعقوبات الضريبية على أتباع الديانات الأخرى وتدمير موارد الديانة الزرادشتية وتغيير اللغة الفارسية إلى العربية من الإجراءات الصارمة التي قام بها العرب الإسلاميون خلال حكمهم.

وعلى أية حال، فبعد هجوم العرب الإسلاميين على إيران، أسلم كثير من الإيرانيين حفاظاً على ممتلكاتهم وأراضيهم، وآخرون اتبعوا تصرفات أشرافهم وشيوخهم. ولم ينفذ الإيمان إلى قلوبهم. واعتنق عدد آخر الإسلام خوفاً على حياتهم أو عدم قدرتهم على دفع الجزية. لأنه إذا لم يسلم أحد فإنه إما أن يدفع الجزية أو يقتل. وأُجبر آخرون على دفع الجزية حتى لا يُقتلوا ويُسلموا.

ويقال أنه في زمن الحجاج أخذت الجزية من أتباع قالوا إن إسلامهم ليس حقيقيا – وأسلموا هربا من الجزية. كان هناك أربع فئات من الإيرانيين الذين ادعوا أنهم مسلمون بعد هجوم العرب الإسلاميين على إيران: أولئك الذين أسلموا بسرعة لكن لم يكن لديهم أي معرفة بتعاليم الإسلام (لعدم معرفتهم باللغة العربية)، وكانت هذه المجموعة صغيرة؛ أولئك الذين أسلموا بسبب اتباع أعيان المنطقة وشيوخها؛ أولئك الذين أسلموا خوفا من القتل؛ وأولئك الذين أسلموا بسبب عدم قدرتهم على دفع الجزية الثقيلة.

(١) محمد العشابي الدمغاني، تاريخ نشر المذهب الشيعي في إيران، قم، مطبعة بيروز، ١٣٥٠هـ، ص٢٣٣

المطلب الاول: العلم والثقافة

ليس صحيحاً بأي حال من الأحوال أن نقول إنه بعد قرنين أو ثلاثة قرون من فتح المسلمين لإيران، كانت هناك صفحة بيضاء في النشاط العلمي لشعبها. على العكس من ذلك، كانت هذه الفترة زمن المزج بين القديم والجديد، وتحول الأشكال والتغيير العرضي في الرأي؛ لكنها لم تكن على الإطلاق فترة ركود وموت. ومن الناحية السياسية، صحيح أن إيران فقدت استقلالها الوطني لفترة من الوقت، وانضمت إلى الإمبراطورية الإسلامية الكبرى، لكنها في مجال العلوم سرعان ما حققت تفوقاً يليق ببراعة وقدرة شعبها. وإذا طرحنا دور الإيرانيين مما يسمى بالعلم العربي، فقد ذهب الجزء الأفضل منه[١].

وقد أكد المؤرخون القدامى، نقلاً عن مصادر عربية، على انقطاع وتطور الوضع قبل وصول العرب وبعده. لكن المؤرخين المعاصرين، وخاصة أولئك الذين استخدموا مصادر غير عربية، يميلون عمومًا إلى رؤية المزيد من الاستمرارية في الوضع. على سبيل المثال، كتب ريتشارد إيتون أن تفاعل وتوقعات السكان الخاضعين للحكم العربي كان لها تأثير كبير على تحول العرب من سكان الصحراء إلى حكام إمبرياليين. ولمدة خمسة عشر عاما، استمر العرب في سك العملات المعدنية على الطراز الساساني مع صورة الملك الإيراني على جانب واحد. اتخذ الخلفاء العرب ألقاب ملوك إيران مثل "ظل الله على الأرض" ونفذوا السياسة الساسانية المتمثلة في دعم دين الدولة (بتحويل الزرادشتية إلى الإسلام). كان الدعم الكبير الذي قدمه الخلفاء العرب للفنون والحرف اليدوية بمثابة استمرار للسياسات الساسانية. هذه الاستمرارية هي الخلفية للنمو السريع وازدهار المدن الذي حدث بعد فترة وجيزة من الفتوحات[٢].

(١) رسول جعفريان، تاريخ الخلفاء، ترجمة الدكتور علي هاشم الاسدي، قم، ١٣٨٠هـ، ص١٨٨

(٢) أبي محمد عبد الله بن مسلمابن قتيبة الدينوري، الاخبار الطويلة، المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار صادر، بيروت، ٢٠١١٠، ص٢٤

تعتبر بارفانه بورشارياتي هذا الرأي القائل بأن غزو العرب لإيران هو نقطة تحول في تاريخ إيران باعتباره سفسطة. وهو يعتقد أن غزو إيران لا ينبغي اعتباره بمثابة إسقاط للهياكل السياسية الإيرانية. لأنه، وفقا له، استمرت التقاليد والسياسات الثقافية للبارثيين لفترة طويلة بعد تراجع الساسانيين وغزو إيران[١].

وبحسب لابيداس، ورغم النوايا المحافظة، إلا أن الفتوحات العربية وهجرة أعداد كبيرة منهم إلى الأراضي المفتوحة كان لها آثار كبيرة على التجارة والتبادل التجاري والزراعة. أدى توحيد الأراضي الساسانية وأجزاء من الإمبراطورية الرومانية الشرقية في وحدة سياسية واحدة إلى إزالة الحدود التجارية السابقة، ولعب هذا الاتحاد دورًا استراتيجيًا في ازدهار التجارة (على الرغم من فصل سوريا والأناضول، اللتين كانتا مرتبطتين سابقًا). أدت الاعتبارات التجارية إلى مزيد من الفتوحات نحو آسيا الوسطى، فضلا عن تطوير المدن.

وفي إيران، ساعدت الفتوحات والهجرات العربية على التنمية الحضرية والزراعية. شجع الأمن والتجارة والسكان الجدد والسياسات العربية بشأن الاستيطان والتحضر والري النمو الاقتصادي. وبالطبع لم يقم العرب ببناء مدن جديدة في إيران، بل استقروا في الأماكن القائمة بالفعل[٢].

وبحسب إحسان يارشتر، فإن سقوط الساسانيين ترافق مع صدمات ثقافية مثل تراجع مستوى المعرفة بالقراءة والكتابة وتأثير المعتقدات التجديفية في الزرادشتية. ويمكن القول إن الهزيمة العسكرية جلبت الحرية للإيرانيين، بحيث لا يعودون تحت الهيمنة الاجتماعية والدينية القمعية في أواخر العصر الساساني. هذه المشكلة حفزت قوتهم الإبداعية. كرس نخبة المثقفين الإيرانيين أنفسهم للإسلام واللغة العربية

(١) سايكس، السير بيرسي مولسورث، تاريخ إيران، ترجمة فخدراي جيلاني، طهران، أفسون، ١٣٨٠ هـ، ص١٣٣

(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، مصدر سابق، ص١٢٢

وساعدوا في تشكيل وتوسيع الحضارة الإسلامية العالمية. ورغم أنه لم يكن هناك عنصر مثل الدين في العالم الإسلامي فعالاً في توحيد المسلمين، فليس من قبيل المبالغة أن يقال إن الإيرانيين كانوا في طليعة تطور الحضارة الإسلامية[١].

إننا نعرف عن الرياضيات في العصر الساساني أكثر مما نعرفه عنها في المائة عام الأولى من الحكم العربي. منذ عهد الخلافة العباسية (مائة عام بعد الغزو العربي)، اشتد تطور الرياضيات، لكن منذ عهد الخلافة الأموية، لم يكن حتى اسم عالم رياضيات ألف كتابا أو عالم فلك قام بالملاحظات مذكور. ومع ذلك، يرى إدوارد كينيدي أنه لا بد من إجراء الدراسات في هذا الوقت لأنه بعد العصر الأموي مباشرة، نرى وجود العديد من المترجمين الذين ترجموا الكتب المتخصصة من البهلوية إلى العربية[٢].

المطلب الثاني: الخط واللغة

إن وجهة النظر المستندة إلى "فترة صمت" الإيرانيين يمكن اعتبارها نتيجة للتحيز القومي الحديث تجاه إيران، وهو ما يعتبره كاتوزيان متعارضًا مع الحقائق التاريخية. وفقا لكاتوزيان، على الرغم من أنه لم تكن هناك حكومة إيرانية مستقلة في هذين القرنين ولا يوجد تقريبا أي دليل على وجود أدب مكتوب باللغات الفارسية المختلفة، إلا أن هذه اللغات كانت تستخدم من قبل الإيرانيين وإذا تعلم الإيرانيون الحضريون اللغة العربية، فإن العرب الذين يعيشون في إيران سيتعلمون اللغة الفارسية أيضًا.

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله المدائني (ت، ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٧ م): شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار الكتب، قم، ١٤١٤هـ)، ج١٥، ص٢١٠.

(٢) محمود آبادي، أصغر، "المؤرخون وحدث القادسية"، المصدر السابق، ص١٣٣

وذكر كاتوزيان أن الإيرانيين شاركوا في النظام الجديد منذ البداية، وذكر الأمثلة، ويعتقد أن الإيرانيين لعبوا دورًا بارزًا جدًا في نمو الثقافة الإسلامية وتدويلها في نفس القرنين[١].

إن الخطاب القومي للعلماء الإيرانيين في الجيلين الماضيين، والذين قلل بعضهم بعناد وأحيانًا بشكل عدائي من مساهمة إيران في تاريخ الشرق الأوسط والواقع أن الجهود التي بذلت من أجل توضيح الأبعاد الإيرانية في نهاية التاريخ القديم للشرق الأوسط كانت موضع شك إلى حد ما. في هذه البيئة، من النادر أن يُظهر شخص ما الجزء التالي من تاريخ إيران بطريقة إيجابية دون أن يتهمه المتعصبون الوطنيون[٢].

خلال العصر الساساني، كان لدى الإيرانيين خمس لغات مختلفة: البهلوية، والفارسية الدارية، والفارسية، والخوزية، والسريانية. ومن بين هاتين اللغتين لم تكن إيرانية؛ الخوزي والسوري. وكانت اللغة الرسمية للحكومة والدين الزرادشتيين هي اللغة الفارسية، وهي لغة العلماء والعلماء. وكانت اللغة العامية للناس العاديين هي "الداري".

وفي نهاية العصر الساساني، لم تكن الداري والفارسية لغتين أو لهجتين مختلفتين؛ بل كانا شكلين مختلفين لنفس اللغة ولهما استخدامات مختلفة. ومن بين اللغات الشائعة، كانت اللغة الفارسية هي اللغة الوحيدة المكتوبة؛ ولم يكن إلا باباً للمحادثة. كان التأثير الأكثر أهمية للقرون الأولى بعد الغزو العربي هو التوسع الكبير في اللغة الدارية العامية.

(١) عبد الله حمزة الأصفهاني، التاريخ السني لملوك الأرض والأنبياء، ترجمة جعفر شعار، (طهران، مؤسسة فرهنك إيران، ١٣٦٦) ص ٩٩.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع، (مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧ م)، ص ٧٧ ـ ٧٨؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت، ٣٥٠ هـ/ ٩٦١): صورة الأرض: (مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢ م)، ص٣٩. ص١٤٢

وعلى الرغم من أنها فقدت مكانتها في العراق على الأرجح، إلا أنها انتشرت بقوة في الشرق، حيث كان الفاتحون المسلمون يفرضون سيطرتهم على تلك المناطق. وفي الواقع، كان جزء كبير من الجيش "العربي" وقت وصولهم إلى عبر النهر من الإيرانيين (حوالي ربع الجيش العربي في ذلك الوقت كانوا إيرانيين). حلت اللغة الدارية محل لغتهم المحلية تدريجيًا في هذه المناطق. ولكن بما أن اللغة الدارية لم تكن مكتوبة، فقد وجدت اختلافات ولهجات مختلفة في مناطق مختلفة. وكانت اللغة العربية لغة ثقافية للإيرانيين، ولم تحل محل اللغة الدارية. وبحسب لازارد، فإن تأثير الغزو العربي لإيران كان توحيد لغتهم العامية في مناطق مختلفة، وهو ما لعب دورًا مهمًا في ظهور اللغة الفارسية الجديدة[١].

يكتب ريتشارد فراي أنه بينما أنفق الإيرانيون طاقتهم على جوانب مختلفة من الثقافة، فإن العرب أنفقوها على جانب واحد من الأدب. ويرى ريتشارد فراي أن ازدهار الشعر الفارسي بهذا المستوى وهذا الحجم لم يكن ليحدث لولا تأثير الأدب العربي، وبحسب فراي فإن ثراء مفردات الشعر العربي وقواعده واستخدامه الماهر للكلمات والصور شجعت الإبداع في الشعر العربي. الأدب الفارسي. إن المقارنة بين مستوى الأدب الفارسي الأوسط والحديث تظهر فرقا واضحا للغاية[٢].

(١) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م): تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الزهراء، قم المقدسة، ١٣٨٧ هـ، الجزء ١، ص١٩٩.

(٢) أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٩٨٠ م]، الطبعة: الثانية ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م، بيروت، دار التراث، ص٩٦

«المبحث الثاني»

الآثار الاجتماعية للقبائل العربية

كان لوصول الإسلام إلى إيران وما تلا ذلك من هجرة القبائل العربية إلى هذه الأرض آثار عميقة وجوهرية على الهياكل السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في إيران. ورغم أن عدد هؤلاء المهاجرين كان صغيراً مقارنة بالسكان الأصليين لهذه الأرض، إلا أنه نظراً لهيمنتهم السياسية والدينية في العالم الإسلامي، كان تأثيرهم على المجتمع الإيراني طويل الأمد وعميقاً. التغيرات في الجوانب المعيشية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

إن العلاقات الودية والسلمية بين العرب والإيرانيين لم تكن نتيجة خطة واعية من عملاء المسلمين، ولكن التحولات التدريجية التي أعقبت اندماج العرب والإيرانيين، نتيجة التعايش والانصهار والتجارة وغيرها، كانت فعالة في خلق هذه العلاقات[1]. في خراسان، كان رد الفعل الأولي للسكان الأصليين تجاه وجود العرب هو اللامبالاة؛ مع الافتراض المنطقي بأن هؤلاء المهاجرين، مثل العديد من سكان الخيام البدائيين، سيغادرون هذه المنطقة قريبًا؛ ولكن عندما أصر العرب على دفع الضرائب والجزية، تحول هذا اللامبالاة إلى عداء وصراع، واندلعت أعمال شغب في أجزاء كثيرة منها، وأخيرًا، سرعان ما أدرك العرب والسكان الأصليون أن مصالحهم ومصالحهم تشترك في الكثير، ولذلك وضعوا عداواتهم الأولية جانباً وتعاونوا إلى حد كبير في العمليات العسكرية.٤

(١) محمود آبادي، أصغر، "المؤرخون وحدث القادسية"، المصدر السابق، ص١٣٣

ومن رواية الطبري عن الفرق بين سكان سمرقند الأصليين والعرب المهاجرين، يمكن أن نفهم اختلاط العرب والأجانب في شرق إيران. عندما اشتكى أهل سمرقند إلى عمر بن عبد العزيز من قتيبة بن مسلم بسبب استيطان العرب القسري في المدينة، أمر عمر القاضي بالتحكيم. أمر القاضي بحرب بين العرب والسكان الأصليين لتحديد الفائز في الميدان. لكن أهل سمرقند لم يقبلوا الحرب وقالوا: "لقد اختلط هؤلاء القوم بنا ونحن معهم آمنون، وهم آمنون منا ونحن آمنون منهم..." وكان ذلك بسبب الاختلاط الشديد. بين المجتمعين وصعوبة التمييز بينهما[١].

المطلب الاول: المجموعات الوسيطة

وفي سياق هذا الاندماج التدريجي، وهو أمر ضروري بطبيعة الحال للحياة الجماعية والجماعية في البيئات المشتركة، لا ينبغي إغفال الدور الفعال للأفراد والجماعات الذين يعملون كوسطاء[٢].

لقد لعبوا دورًا كبيرًا، وهو مهمل. ويمكن اعتبار هؤلاء الأشخاص، بما في ذلك الإيرانيين والعرب، بشكل عام يشملون ثلاث مجموعات:

١) المترجمون الذين كانوا الفئة الأولى المؤثرة من حيث الزمن ونتيجة الحاجة للتعرف على العرب والإيرانيين. كثيراً ما تذكر المصادر في التقارير ذات الصلة بفتح إيران هذه الأمور في المحادثة بين الجنرالات العرب والإيرانيين[٣].
٢) وفي حديثنا عن المجموعة الثانية، ينبغي أن نذكر نبلاء إيران ومنهم الفلاحون والمعلمون، الذين ظلوا في مسؤولياتهم السابقة بسبب عدم إلمام العرب

(١) رسول جعفريان، تاريخ الخلفاء، ترجمة الدكتور علي هاشم الاسدي، قم، ١٣٨٠هـ، ص١٨٨

(٢) أبي محمد عبد الله بن مسلمابن قتيبة الدينوري، الاخبار الطويلة، المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار صادر، بيروت، ٢٠١١٠، ص٢٤

(٣) سايكس، السير بيرسي مولسورث، تاريخ إيران، ترجمة فخدراي جيلاني، طهران، أفسون، ١٣٨٠ هـ، ص١٣٣

بالشؤون المالية والجزية وحاجتهم إلى هذه الطبقات، وبالتالي ولعب دور المجموعة الثانية من الوسطاء بين العرب والإيرانيين. وفي مواصلة النقاش، وخاصة في موضوع تحول الطبقات الاجتماعية، سيتم الحديث عنهم أكثر[١].

٣) العلماء الإيرانيون الإسلاميون الذين شكلوا جزءًا كبيرًا من المجتمع الإيراني في ذلك الوقت. هؤلاء الأشخاص الذين برزوا في وقت قصير كعلماء وعلماء وأشخاص مؤثرين في المجتمع، ظهروا في كثير من الأحيان كوسطاء بين العرب والإيرانيين. وكمثال على ذلك يمكننا أن نذكر الحسن البصري الذي كان كاتب ربيع بن زياد الحارثي في سيستان[٢] كما لعب حيان النبطي دور الوسيط في صلح قتيبة بن مسلم مع ملك صغد. في بدايةً، اقتصرت العلاقة بين الطائفتين على العلاقات السياسية والعسكرية، وبعد ذلك بُذلت الجهود لتحقيق الهيمنة السياسية للإيرانيين؛ لكن بعد فرض الحكم العسكري وبدء الجنود العرب في بناء المستوطنات في مناطق مختلفة، انضمت إليهم عائلاتهم أيضاً، لكن على المدى الطويل، أصبح ذلك أساساً لنشوء العلاقات وخلق التعايش؛ لأن هؤلاء المهاجرين كانوا بحاجة إلى إقامة علاقات مع السكان الأصليين على الأقل لتلبية احتياجاتهم اليومية[٣].

(١) محمد العشابي الدمغاني، تاريخ نشر المذهب الشيعي في إيران، قم، مطبعة بيروز، ١٣٥٠هـ، ص٢٣٣

(٢) الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق، ص٥٩٦

(٣) محمود آبادي، أصغر، "المؤرخون وحدث القادسية"، ترجمة بروين كنابادي، طهران، دار الفكر، ٢٠٠٣، مجلة التاريخ الإسلامي، خريف ٢٠٠٨، ص٢٢١

المطلب الثاني: تنمية العلاقات الشاملة

في البداية كان للحكم العربي بعد سياسي وعسكري. ولكن عندما تغيرت نوعية العلاقات إلى دم وتجارية وثقافية وغيرها، وفسح الصراع المجال للتنازل والتعايش، بدأت العلاقات الاجتماعية الثنائية في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية، وامتدت إلى المجالين الديني والاجتماعي. جانب من العلاقات بين العرب والإيرانيين كان الروابط السببية التي تمت من خلال الزواج بين الشعبين. في البداية، منع الخليفة الثاني عمر زواج المحاربين العرب بنساء من الأراضي الأخرى الذين انضموا للتو إلى الجرجا الإسلامية؛ أدى هذا الحظر من ناحية المحاربين إلى الابتعاد عن سكان المناطق المفتوحة، ونتيجة لذلك، تزوجوا من نساء أصبحوا عربيين، وهذه الروابط تحافظ على تقاليد العرب وروحهم الحربية، ومن ناحية أخرى، تكثف جهودهم للمشاركة في الفتوحات.

وكانت نتيجة هذه الزيجات أطفال هجينين، وهو الأمر الذي أصبح في النهاية مستحيلاً بين الإيرانيين المسلمين. وعلى الرغم من أن المصادر تناولت هذه القضية بشكل أقل، إلا أنها ذكرت مرارًا وتكرارًا رجالًا هجينًا وصلوا أحيانًا إلى مناصب عليا[1] في مجتمع ذلك الوقت، كان التفاعل والعلاقات بين النساء العربيات والإيرانيات مثيرًا للاهتمام أيضًا؛ ويكتب البلاذري: "أن زوجة سلام بن زياد ولدت طفلاً بسمرقند سنة ٦١ هـ، وللاحتفال بالمولد استعارت حلى شهريار صغد ولم ترده".

وسمّى هذا الطفل "سوقدي. وينبغي الإشارة إلى ظهور التفاعل بين المهاجرين والسكان الأصليين إلى اهتمام العرب وحضورهم في المهرجانات والطقوس الإيرانية القديمة. ولم تكن الطقوس الإيرانية الهامة والعظيمة مثل عيد النوروز والمهركان والسده تُنسى في إيران فحسب، بل عندما دخلوا إلى نظام خلفاء الرسميين

(١) الأصفهاني، التاريخ السني لملوك الأرض والأنبياء، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ١٠١

وقد وجدت وأصبحت شائعة في جميع أنحاء أراضي الإسلام تقريباً وبما أن الاهتمام بإيران القديمة لم يتخذ لون معاداة الإسلام ومعاداة العروبة، فقد اعتبرت آمنة من وجهة نظر العرب. الجانب المالي وكان يعتبر نوعا من الضرائب. وأول من جعل هدايا النيروز والمهرجان عادة في الإسلام هو الحجاج بن يوسف، ولكن عمر بن عبد العزيز أبطلها[1].

ومع انتهاء الحروب الأولى وبدء التعايش السلمي بين الإيرانيين والعرب، نجد جماهير كبيرة من الإيرانيين إلى جانب العرب انضموا إلى المشاة العربية إما على أمل الحصول على الغنائم أو خوفا على حياتهم. وقد ذكرت المصادر حالات تعاون عسكري بين العرب والإيرانيين [٤]، ولهذا السبب يرى إسبولر أن عدد الإيرانيين الذين تجاهلوا المسلمين تماماً لا يذكر. يكتب: "لقد ضحى كثير من الناس بحياتهم في مجرى الأحداث، بل إن الكثير منهم انضموا إلى العرب في الحملات العسكرية". بل إنهم في بعض الحالات، مدحوا العرب؛ وعلى سبيل المثال، تجدر الإشارة إلى أن فلاح بلخ استقبل قتيبة وأهداه هدايا ومفتاحاً ذهبياً من ملك ساغانيان (تشاغانيان).

كما تعاون العرب والإيرانيون في المجالات المالية والمعيشية أيضًا. ورغم أن هذا الجانب من التعايش بين مجتمعين مهم للغاية، إلا أن المصادر أهملته والتقارير الموجودة حول هذا النوع من العلاقات قليلة جدًا. ومن المؤكد أن تعايش هاتين المجموعتين في شرق إيران كان الأساس للعديد من العلاقات المالية والمعيشية والجهود المبذولة لتلبية الاحتياجات اليومية. يمكن لهذه المنطقة، بسبب خصوبتها وبسبب كونها على طرق التجارة، أن يكون لديها العديد من الحوافز لأنشطة المعيشة المشتركة للشعبين. وصول بعض المهاجرين العرب إلى خراسان مثل أفراد قبيلة أزاد ساره الذين بدأوا في النسيج،

(١) علي بن أحمد (ابن حزم الأندلسي)، جمهرة الأنصاب العرب (بيروت، دار الكتاب العالمية ت ١٤٠٣هـ) ص ٤٨٦.

وقد أدى توظيفها إلى ازدهار العلاقات المالية وخلق مناخ مناسب للتعاون بين البلدين.

١) ولذلك كان من أسباب ازدهار تجارة المنسوجات والفراء والفخار والعاج وغيرها من السلع الكمالية في وقد نتجت القرون الإسلامية الأولى عن تعاون وتجارة التجار العرب والإيرانيين في القرون الأولى من الحكم العربي في خراسان.

٢) أهمية الأنشطة التجارية في هذه المنطقة، لوجود طريق الحرير، جعلت الجهود المبذولة لتأمين الطرق اللازمة، والتي أصبحت ممكنة بفضل جهود قتيبة ٣. ومن بين أمور أخرى، تشير المصادر إلى المساعدات المالية التي قدمها الإيرانيون للعرب خلال الحملات والحروب، وهناك تقارير عن هذا التعاون[١].

والتجار الإيرانيون، الذين استفادوا كثيراً من تبادل غنائم الفتوحات ونتيجة ازدهار التجارة، لم يرافقوهم فقط، بل قاموا أحياناً بتوفير تكاليف الحملات العربية. وفي سنة ٧٧ هـ. وبما أن والي خراسان بكير بن فاشاه كان يخطط لقيادة جيش عبر النهر وكان بحاجة إلى الخيول والأسلحة لجلب الجيش، فقد حصل على المساعدة من التجار الصغديين[٢].

(١) ابن جوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم، المحقق: خورشيد أحمد فاروق، الناشر: عالم الكتب، بيروت، نشر الكتاب: ١٤٢٤ – ٢٠٠٤، ص٤١٣.

(٢) محمد العشابي الدمغاني، تاريخ نشر المذهب الشيعي في إيران، قم، مطبعة بيروز، ١٣٥٠هـ، ص٢٣٣

المطلب الثالث: زيادة أو نقصان عدد السكان وتغيير التركيبة السكانية

تؤثر الهجرة بشكل مباشر على النمو السكاني، وقد يزيد هذا أو ينقص حسب عدد المهاجرين. نظرًا لخصائص عمرية وجنسية معينة، تزيد الهجرة عادةً من معدل النمو السكاني في المناطق التي تستقبل المهاجرين. بالإضافة إلى ذلك، يؤثر العدد الكبير من المهاجرين الذكور على التوازن العمري والجنساني إلى حد ما. من ناحية أخرى، اعتمادًا على نوع المهاجرين وعددهم، يمكن أن يواجه مجتمع المهاجرين زيادة في الطلب ويواجه مشاكل من حيث الاقتصاد والتوظيف والمأوى وما إلى ذلك[1].

اليوم، وفقًا لتأثير الهجرة، تنقسم البلدان إلى بلدان صديقة للمهاجرين٥، ومهاجرين أولاً٦، وبصرف النظر عن تدفقات الهجرة المهمة.١ يمكن أن تكون الهجرة حلاً للأزمات.

ويمكن اعتبارها أزمة سكانية، حيث أنها تسبب توازناً أو انخفاضاً في عدد السكان في منطقة المهاجرين أولاً وزيادة أو توازناً في عدد السكان في المنطقة المقبولة للمهاجرين، ويمكن أن تكون هذه الهجرات أساساً لسياسات سياسية واجتماعية واقتصادية. القضايا والمشاكل. تعد الهجرة أحد العوامل الرئيسية للتغير والتحول السكاني، ونظرًا لطبيعتها، بالإضافة إلى التغيرات طويلة المدى وطويلة المدى، فإنها يمكن أن تحدث أيضًا تأثيرات سريعة وقصيرة المدى على عدد وهيكل سكان الدولة. كل من المناطق التي تقبل المهاجرين والمناطق التي تعطي الأولوية للمهاجرين، والتوازن السكاني أو الأزمات. يتجلى التغيير في التركيبة السكانية بشكل رئيسي بطريقتين: تغيير في التركيبة الجنسية وتغيير في التركيبة العمرية.

(١) محمد العشابي الدمغاني، تاريخ نشر المذهب الشيعي في إيران، قم، مطبعة بيروز، ١٣٥٠هـ، ص٢٣٣

وفي الحالات التي تتم فيها الهجرة عن طريق الأسر، لا يكون لها تأثير كبير على عمر السكان ونوعهم، ولكن في كثير من الحالات تكون نسبة الرجال بين المهاجرين أكثر من نسبة النساء. أدت الهجرة السريعة للعرب، بالتزامن مع بداية الفتوحات واستمرارها في السنوات التالية، إلى تسهيل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية إلى حد ما، ومن ناحية أخرى، تسببت في تفاقم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية. التركيبة الديمغرافية لبعض المناطق الأخرى، بما في ذلك إيران، إلى الانهيار[١].

ويقال إن أحد أهم أهداف الفتوحات التي أعقبتها الهجرة كان حل مشكلة تزايد سكان الجزر العربية والصعوبات الناجمة عنها. وكانت هذه المشكلة واضحة جدًا في مدن مثل الكوفة والبصرة، التي تم بناؤها للغرض نفسه منذ البداية، وكذلك في الأجزاء الشرقية من إيران التي استقبلت العديد من المهاجرين. وتتجلى أهمية هذه المشكلة عندما نتذكر عدة هجرات كبيرة في العصر الأموي، حيث بلغ عدد الأشخاص في كل هجرة ما يقارب مائتي ألف نسمة.٤ ولذلك فإن في أرض إيران، بكل امتدادها، إلا في مناطق محدودة جداً، المدينة والريف، ولم يكن هناك مستوطنون عرب، وكان ذلك ملحوظاً لدرجة أن جغرافيي القرنين الثالث والرابع الهجريين اعتبروا سكان معظم أنحاء إيران عرقاً مختلطاً من العرب وغير العرب[٢].

هجرة العرب إلى إيران في نفس وقت الفتوحات وبعد ذلك تسببت من ناحية في النمو السكاني لمناطق إيران وخاصة المناطق الشرقية ومن ناحية أخرى تسببت في تغير التركيبة السكانية في هذه المناطق ينهار.

(١) الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق، ص٥٩٦

(٢) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٢٠٠٥ م)، ج١٥، ص٢١٠.

إن الزيادة السكانية والتغير في التركيبة السكانية في الفترة قيد البحث ينبغي النظر إليها في فترتين زمنيتين: واحدة في بداية الفتوحات وفترة الخلفاء الراشدين وبداية الهجرات، والتي بسبب الوجود الكبير الرجال في شكل قوات عسكرية، إيران وخاصة المناطق الشرقية يعانون من مشكلة زيادة السكان ويواجهون تغير العمر والتركيبة الجنسية؛ ومن ناحية أخرى، خلال العصر الأموي عندما بدأت الهجرات الأسرية، لم يكن اختلاط العرب بالسكان الأصليين هو نفسه في كل مكان؛ إذ كان عدد العرب أكثر في المنطقة الواقعة بين النهرين وخراسان. أهدى هيثم بن عدي أحد كتبه بعنوان كتاب نزل العرب إلى خراسان والسوادرة، وهو لم يعد موجودا.

ويعتبر محمدي هذه المنطقة وليس كل إيران بمعزل عن كثرة عدد السكان العرب وتأثيرهم على الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية لهذه المناطق، أكثر لأن وجود العرب في هذه المناطق مع انتفاضة العباسيين وحكمهم قتال العرب الذين كانوا من أنصار الأمويين، وقد روي في خراسان والعراق[1]. أن الطبقة السكانية العربية في خراسان وخاصة في المناطق الواقعة خارج مدن المعسكرات، بالنظر إلى اتساع هذه المحافظة، كان توزيعها منخفضًا نسبيًا، مما أدى إلى تلاشي الحدود بين السكان العرب والمواطنين الإيرانيين. فإن وجود مجموعات من عدة آلاف من الأشخاص في عدة حالات للهجرة العربية إلى هذه المنطقة لا يمكن اعتباره أمراً ضئيلاً من حيث عدد السكان وعواقبه.

كما أن وجود عدد كبير من العرب في مدن إيران أو ضواحيها جعل هذه المناطق صعبة اقتصاديا، خاصة وأن هذه المناطق في آخر أيام الإمبراطورية الساسانية كانت عبئ المصاريف اليومية لجيش يزدجرد الذي كان يتكون من أربعمائة ألف مقاتل.٥ كما

(١) بو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨ هـ)، الفهرست، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، (دار الفكر، طهران، ١٣٦٦ هـ)، ج١، ص١١٥.

غذت هجرة العرب واستيطانهم في هذه المناطق القلق الاقتصادي وفرضت عبئا مضاعفا على أكتاف سكان هذه المناطق. لأن السكان الأصليين لا يتحملون تكلفة الجنود وعائلاتهم وقادتهم فحسب، بل يتعين عليهم أيضًا في بعض الأحيان أن يعطوا منازلهم للمأوى وهذا، بصرف النظر عن التكاليف الإضافية للجزية والجزية وهدايا النوروز والقلائد، الزواج وغيره[1].

المطلب الرابع: تحول الطبقات الاجتماعية

لمعرفة الطبقات الاجتماعية لوحدة اجتماعية ما، لا بد من الاهتمام بدين أهلها، لأن كل دين يحدد التصنيفات الاجتماعية بحسب قيمه؛ على سبيل المثال، من وجهة نظر التقليد الزرادشتي، كما هو مذكور في الأفستا، شملت الطبقات الاجتماعية للناس آزاربان، والمحارب، والمزارع، والراعي، والحرفي، الذين كان واجبهم التفكير بشكل صحيح، وقول الحقيقة، والتصرف بشكل صحيح. ٣ بحسب بورداوود، في القرن الأول الهجري عانى المجتمع الإيراني من التفكك الاجتماعي بسبب تعرضه لموجات الفكر الإسلامي والابتعاد عن بعض العناصر الثقافية الماضية من جهة وعدم إيجاد نمط ثقافي جديد. الهوية، على عكس الزيادة في عدد المسلمين الإيرانيين الجدد.٤ وعلى الرغم من أن غزو إيران أدى إلى سقوط الإمبراطورية الساسانية والقضاء على العائلات النبيلة والشخصيات العسكرية البارزة، مع التحول السريع للنبلاء الإيرانيين إلى الإسلام، إلا أن ظل التكوين الاجتماعي لإيران خلال فترة الخلافة على حاله تقريبًا، وبالتالي حدث تحول عميق في حياة الناس.

وعلى الرغم من أن المدينة المنورة ودمشق أصبحتا العاصمة الرسمية للبلاد، إلا أن الرجال الأقوياء المحليين والمحليين ما زالوا يحكمون إيران. التحول الجماعي للزرادشتيين إلى الإسلام، والذي لم يكن بسبب الإكراه والضغط، بل محاولة للحفاظ

(١) آدروش آذرتاش، التأثير الفارسي في الثقافة العربية الجاهلية، (طهران، طوس، ١٣٧٤ هـ)، ص ١٤٧.

على الوضع، تسبب في الحفاظ على التقاليد وتنفيذ القوانين القديمة والحفاظ على الامتيازات الطبقية[١].

ومنذ ذلك الوقت انقسم المجتمع الإيراني إلى فئتين عامتين، المسلمون وأهل الذمة. التعرف على هيكل الفصول المجتمع الإيراني، في نفس الوقت الذي دخل فيه العرب إلى إيران، يجب أن نعود قليلا إلى الوراء وننتبه إلى هذا الهيكل في الفترة الساسانية أيضا.

ويرى كريستنسن أن التصنيف الاجتماعي للعصر الساساني يشمل هذه المجموعات: ١. رجال الدين ٢. المحاربون ٣. الموظفون الإداريون والمعلمون ٤. جماهير الناس والحرفيين والمواطنين، وقد تم تقسيم كل طبقة إلى عدة فئات. الإسلام في إيران منذ بداية ظهور إيران، فقد مبدان مكانته الاجتماعية ولم يلعب دورًا مهمًا في تاريخ إيران الجديد وتم دفعه تمامًا إلى الهامش. في بداية الفتوحات، ترك معظم الجنود ساحات القتال أو استسلموا للعرب في بداية الفتوحات، باستثناء من هلك في الحروب والغارات، مثل حمرة الدلم الذي أسلم قبل القادسية. وأصبحوا موالين لقبيلة تميم.٢ واحتفظ المعلمون والفلاحون بمناصبهم بسبب الاحتياجات الإدارية والدينية للحكومة. ولم يتغير حال الفلاحين، فقط تغير أسيادهم، كما تحسنت أحوال الصناعيين والمهنيين والتجار بسبب نمو المدن وازدهار التجارة[٢].

مع بداية العصر الأموي وخاصة مع ترجمة الدواوين من الفارسية إلى العربية واستقلال العرب الإداري عن الإيرانيين من جهة، وظهور التعصب العربي الشديد من جهة أخرى، تغير انقسام المجتمع إلى حد ما. وقد أحدث العرب انقساماً اجتماعياً

(١) والحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعدن الجوهر، ترجمة أبو القاسم بيانده (بيروت، شركة الترجمة والنشر، ١٣٤٤ هـ) ج ٢، ص ١٦٩.

(٢) محمد محمدي ميري، تاريخ إيران وثقافتها في فترة الانتقال من العصر الساساني إلى العصر الإسلامي، (طهران، كاليان، ١٣٧٧ هـ) ج٢، ص٥٧.

جديداً، خاصة في العصر الأموي. المسلمون المحررون، مثل الفلاحين والمعلمين[1]. المسلمين غير العرب أو المخلصين، ٣. غير المسلمين وأهل الذمة، ٤. العبيد[2]. لا يرى فاراي أن هذا التقسيم يتعارض مع طبقات المجتمع الساساني، لأن وفي المجتمع الزرادشتي الناس مؤمنون أيضًا، وانقسم الكافرون؛ وفي الواقع، خلال الفترة الإسلامية، لم يختف تقسيم إيران فحسب، بل استمر أيضًا.٥ ومع ذلك، لا يمكن إنكار أن الطبقات تغيرت في هذه الفترة، على الأقل على مستوى تحول الطبقات في السابق. التسلسل الهرمي، كما في نفس الوقت مع وصول العرب، تم دفع رجال الدين والكهنة، الذين كانوا في قمة الهرم الطبقي الساساني، جانباً، وتم دفع الفلاحين وغيرهم من النبلاء ذوي النفوذ الإيراني، إلى جانب الأرستقراطية العربية، لقد خلقوا ارستقراطية جديدة. وأحصي كثير من الناس من أهل الذمة بدفع الجزية، وفي العصر الأموي أضيفت أيضا إلى هذه الطبقات طبقة التابعين.

الطبقات الأخرى التي ظلت في موقعها خلال هذه الفترة، مع اعتماد نظام الضرائب الساساني، كانوا الفلاحين. وبعد هزيمة أهل ذات وأسوار، كتب عمر إلى العرب:

"أنتم بأنفسكم لا تستطيعون أن تستوطنوا أرض هؤلاء القوم، وتحرروا جميع الأسرى وتدفعوا لهم الجزية". وفي خراسان، اعتمد العرب على النبلاء الإيرانيين وحصلوا على المساعدة منهم في شؤون الضرائب وإدارة الحكومة. وسرعان ما تبنوا أسلوب الحكم من الساسانيين.٣ وفي عبر النهار، حتى نهاية العصر الأموي، ظل الحكام المحليون في مناصبهم، حتى أنهم اعترضوا على اعتناق الإيرانيين الإسلام

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٢٠٠٥ م)، ج١٥، ص٢١٠.

(٢) بو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨ هـ)، الفهرست، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، (دار الفكر، طهران، ١٣٦٦ هـ)، ج١، ص١١٥.

وتقليص عددهم ٤ـ بسبب علمهم بالشؤون ومعرفتهم بمختلف العلوم، كان الفلاحون يقفون إلى جانب العرب في كثير من الأمور.

ولما قدم سعيد بن عثمان إلى خراسان (١٠٢هـ) تشاور مع الفلاحين لانتخاب الولاة.٥ بينما في العصر الإسلامي اختفت الطبقات الأخرى تدريجياً، وكانت هذه الطبقة من جهة بسبب انشغالها بالشأن المدني ومن جهة ومن ناحية أخرى، وبسبب الاعتماد على الأرض والحياة في القرية والتعايش مع المزارعين، حافظوا على مكانتهم، بل ووجدوا دوراً أبرز[١]. وحافظ المعلمون، الذين كانوا يتمتعون بمكانة عالية في العصر الساساني،٧ على هيبتهم لفترة طويلة. الوقت، لأن العرب كان سبب عدم القدرة على تسجيل المكاتبات الإدارية هو البحث عن أهل الكفاءة لإدارة الأراضي المفتوحة حديثا[٢]. قال زياد بن أبية، الذي كان واليا على العراق اثنتي عشرة سنة: "جدير أن "يجب أن يكون كاتبو الخراج من رؤساء القبائل المسؤولين عن شؤون الخراج. اعرف"[٣]. زادان فروخ بيروز، زرادشتي أسلم، في العام ٧٧ هـ. وعلى يد عبد الملك الخليفة الأموي، أصبح سكرتير الحجاج بن يوسف.

بالإضافة إلى تسجيل المراسلات وإدارة شؤون المراسلات، كان الأمناء يشاركون أيضًا في تسجيل الأحداث والحوادث المهمة وكان لهم في بعض الأحيان يد في

(١) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ٢٠٠٥ م)، ج١٥، ص٢١٠.

(٢) بو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨ هـ)، الفهرست، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، (دار الفكر، طهران، ١٣٦٦ هـ)، ج١، ص١١٥.

(٣) سايكس، السير بيرسي مولسورث، تاريخ إيران، ترجمة فخدراي جيلاني، طهران، أفسون، ١٣٨٠ هـ، ص١٣٣

الأحداث نفسها. وظل معظم المعلمين في العصر الإسلامي، حتى نهاية الحكم الأموي في خراسان، مخلصين لدينهم[١].

والمجموعة الأخرى هي الموالون الذين ظهروا في العصر الأموي وشكلوا مجموعة كبيرة. تم إعطاء معاني مختلفة لكلمة مولي، بما في ذلك راب، ومالك، والسيد، وسروار، ولكن نعمة، ومحرر، وتابع، وابن عم، ومعاهدة مشتركة، وما إلى ذلك[٢]. بعد الفتوحات العربية، تم تطبيق هذا المصطلح في الغالب على غير العرب "المسلمون الجدد. وظلوا تحت دعم أصحابهم الأصليين تحت اسم "المولي".٣ وأدرك الأمويون أن الدين وحده لا يستطيع بناء أساس الإمبراطورية، ولكن هناك نوع من الشعور الوطني ضروري أيضا لبقاء هذا إمبراطورية. ووضعوا الخلافة في دولة جديدة وحولوها إلى دولة تعتمد على دعم القبائل العربية، وظهرت مُثُل ومؤسسات جديدة في هذه الدولة، واختفت بساطة العصر الأول للخلفاء الأربعة الأوائل.

المطلب الخامس: حركة السكان داخل وخارج إيران

تتم دراسة فئة التنقل في مفهومين مختلفين: الحراك الاجتماعي والحراك الجغرافي. يرتبط الحراك الاجتماعي عمومًا بالتطور؛ وبعبارة أخرى، فإن الحراك الاجتماعي يحدث في عملية التطور الاجتماعي. وينبغي النظر في أحد أسباب حدوث الهجرات الجماعية، الداخلية والخارجية، بعد انتصار أمة على أمة أخرى وإقامة مستوطنات بدوية في الأرض المحتلة. إذا لم يتم استيعاب السكان الأصليين المهزومين من قبل السكان المهزومين، فسيكون من المحتم الهجرة إلى منطقة جديدة والاستقرار في تلك المنطقة، وهو نوع من الهجرة الجماعية.

(١) محمد العشابي الدمغاني، تاريخ نشر المذهب الشيعي في إيران، قم، مطبعة بيروز، ١٣٥٠هـ، ص٢٣٣

(٢) سايكس، السير بيرسي مولسورث، تاريخ إيران، ترجمة فخدراي جيلاني، طهران، أفسون، ١٣٨٠ هـ، ص١٣٣

أحدهما هو هجرة الإيرانيين من المدن والقرى إلى داخل الحدود أو خارجها؛ ثانياً، هجرة الإيرانيين من القرى إلى المدن في السنوات التالية نتيجة السياسات الظالمة للحكام والولاة الأمويين. وعندما دخل العرب إيران، في فارس وكرمان، فضل الزرادشتيون مغادرة وطنهم للتعايش مع العرب الوافدين حديثًا[1]. ومع فتح سيرجان، مقر كرمان، على يد مجاهد بن مسعود في زمن عمر بن الخطاب، بدأ الناس في هذه المنطقة بالهجرة. ذهب جماعة إلى هرمز، وسلكت قبيلة الطريق البحري، وذهب بعضهم إلى مكران، وذهب البعض إلى سيستان. ونتيجة لذلك سقطت بيوتهم وأراضيهم في أيدي السياط.٢ أثار تقدم العرب إلى آسيا الوسطى في بداية القرن الثاني القلق لدى سكان تلك المناطق وهجرتهم[2].

وفي أصفهان بعد بتوقيع معاهدة السلام، أصبح الفرس من أهل الذمة، وهم ثلاثة أشخاص عملوا ضد قومهم. فاجتمعوا وتوجهوا إلى كرمان مع قومهم للانضمام إلى يزدجرد وأصحابه. وأثناء فتح ري ودماوند وقم، بدأ بعض الفرس بالهجرة (٢٢هـ) وفي عهد الخلافة الأموية، عارض بعض الإيرانيين ومع تقدم العرب، فروا إلى عبر هولندا. ووفقا للدليل الواضح على وجود الإيرانيين في عبر هولندا والصين، يرى فراي أن هذه الهجرات هي السبب في انتشار الثقافة الإيرانية في هولندا.

بعد أن اعتنق بعض الزرادشتيين الإسلام، أُجبر بعض الأشخاص الذين ظلوا مخلصين لعاداتهم وتراثهم ودينهم على النفي. ومن الأمثلة على هذه الهجرات الهجرة التاريخية للإيرانيين إلى الهند. استمر الزرادشتيون المجتهدون، والذين كانوا من عامة الناس في إيران، في العيش في إيران بعد فترة قصيرة من الزمن عندما هدأت التحولات الاجتماعية السريعة، لكن اضطر الزرادشتيون والمسؤولون الساسانيون إلى الهجرة.٨

(١) محمد العشابي الدمغاني، تاريخ نشر المذهب الشيعي في إيران، قم، مطبعة بيروز، ١٣٥٠هـ، ص٢٣٣

(٢) محمود آبادي، أصغر، "المؤرخون وحدث القادسية"، ترجمة بروين كنابادي، طهران، دار الفكر، ٢٠٠٣، مجلة التاريخ الإسلامي، خريف ٢٠٠٨، ص٢٢١

ويُعتقد أن الزرادشتيين في البلاط والمسؤولين الساسانيين اضطروا إلى الهجرة. الجزء الأكبر واضطر الزرادشتيون الرئيسيون إلى مغادرة إيران بعد انتشار الإسلام[١].

وبناء على شهادة المصادر، يرى أن الإيرانيين وخاصة الكهنة الزرادشتيين كانوا قد ذهبوا إلى الهند ولو قبل عام للتبشير بالدين أو التجارة، ومنذ ذلك الحين انطبعت فكرة الهجرة إلى ذلك البلد في الأذهان من الإيرانيين. فرس الهند الذين ما زالوا في مدن مختلفة، يحافظون على طقوس أجدادهم، وهم بقايا هؤلاء المهاجرين، الذين وطأت أقدام المجموعة الأولى منهم أرض كجرات في حوالي القرن الأول الهجري.

كما هاجر بعض الزرادشتيين إلى الصين وإفريقيا. حتى أن ابن الأثير ذكر هجرة السكان، وقد ورد خبر بلاد ما بين النهرين إلى روما في نفس الوقت الذي دخل فيه العرب هذه المنطقة[٢].

وهناك نوع آخر من الهجرة الداخلية وهو هجرة القرويين إلى المدن، والتي اشتدت في العصر الأموي. وكان أحد أسباب الهجرة من القرى هو الإكراه الاجتماعي. في القرى، كان اعتناق الإسلام يعني أن الشخص لم يعد ينتمي إلى مجتمعه القديم، بل كان من الممكن أن يعتبره القرويون السابقون ميتًا قانونيًا، ونتيجة لذلك، فإنه سيهاجر حتماً إلى المجتمع الإسلامي.

ومن الممكن أن يتم هذا الفعل أيضًا لأسباب اقتصادية، لأن إخوانه في الدين السابقين حرموه من المشاركة في الحياة الاقتصادية لمجتمعهم[٣]. وفي القرى، وبسبب تمسك الناس بالتقاليد، بدأت عملية الأسلمة في وقت لاحق، وعندما دخل الإسلام

(١) بو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨ هـ)، الفهرست، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، (دار الفكر، طهران، ١٣٦٦ هـ)، ج١، ص١١٥.

(٢) الدكتور جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، مصدر سابق، ص٥٩٦

(٣) آدروش آذرتاش، التأثير الفارسي في الثقافة العربية الجاهلية، (طهران، طوس، ١٣٧٤ هـ)، ص ١٤٧.

وفي بعض الأماكن، هاجر المسلمون الجدد إلى المدن والمراكز العربية للحصول على المزيد من الفوائد. وقد تسببت هذه الهجرات في تأخير انتشار أسلمة سبب آخر لهجرة سكان الريف إلى المدن هو جمع الجزية من المسلمين الجدد.٧ نصت مبادئ المرسوم بوضوح على أنه لا ينبغي للمسلمين من أي عرق أو عرق أن يدفعوا ضرائب أخرى غير الزكاة والصدقات، ولكن من الناحية العملية كان هذا مخالفًا للقانون. امتياز خاص للعرب المسلمين. ولذلك فإن كثيراً من المسلمين الجدد، وخاصة أهل العراق وخراسان، يستخدمون هذا الامتياز، قراهم

الذين كانوا يعملون في الزراعة هناك، تم التخلي عنهم واندفعوا إلى المدن ليكونوا موالين للحرس الثوري الإيراني.١ تسبب هذا الإجراء في خسائر مضاعفة للحكومة، لأنه بعد تحول المزارعين المحليين إلى الإسلام، تم تخفيض الضرائب بشكل كبير، وعندما انضموا إلى الحرس الثوري الإيراني، وكان لديهم الحق في استخدام خاص أيضًا.

كما أدت هجرة هؤلاء الأشخاص إلى المدن، بالإضافة إلى زيادة عدد سكان المدن وإفراغ القرى من الأيدي العاملة، إلى خسارتين أخريين لا يمكن تعويضهما: وكان المصدر الرئيسي لدخل الحكومة هو الجزية والجزية، وأضرارهما التي أثرت في النهاية على خزانة الحكومة، وانضمام هؤلاء الأشخاص إلى حركة الموالي وغيرها من التمردات التي عارضت الحكومة. ومن هنا اضطر الحاج أخيراً أهالي القرى إلى العودة إلى مدنهم منعاً لتدهور الوضع[1].

(١) محمد محمدي ميري، تاريخ إيران وثقافتها في فترة الانتقال من العصر الساساني إلى العصر الإسلامي، (طهران، كاليان، ١٣٧٧ هـ) ج٢، ص٥٧.

المطلب السادس: نشأة المدن ونموها وتوسعها

تعتبر الهجرات أحد العوامل المحفزة لنمو سكان المدن، يليها إنشاء المدن وتوسيعها. بدأ هذا التطور بهجرة العرب واستقرارهم في المعسكرات العسكرية.

وسرعان ما أصبحت المعسكرات، التي كانت تُنشأ عادةً في الضواحي في البداية، مراكز حضرية؛ ومن هذه المدن يمكن أن نذكر البصرة والكوفة وواسط وشيراز وغيرها. يؤكد الإسلام على سكن المسلمين في المدن ويحرم العيش في الأماكن النائية. وفي الإمارة أيضاً على المناطق، فضل أهل المدينة على سكان الرياح؛ وكما قال عمر عند تعيين أمير البصرة: "والله إن لأهل المدينة أن يحكموا أهل البدو" وكان الأمر سياسيا في الشرق الأوسط، فالفاتحون المسلمون، مثل السابقين، أرادوا إقامة حكومتهم في البلاد الإسلامية الواسعة

وقد اتبعوا تقليد التمدين (التمصير)[1]. أدت هذه العملية إلى توسع المدن الإسلامية المؤسسة حديثا مع وجود العديد من الإيرانيين في هذه المدن بلقب "الموالي" الذين كانوا يعملون في الأمور الخدمية. مدن الحامية/ المعسكرات كانت لها خصائص مشتركة؛ وكان في كل مدينة مسجد، ودار لسكنى الحاكم بجوار المسجد، وبالقرب منه مكان لبيت الثروة وربما بعض الدواوين.٣ عند دخول المدينة، بنى المسلمون أول مرة مسجدًا فيها؛ لذلك، في كثير من الأحيان، يمكن أن يؤخذ بناء مسجد في كل منطقة كدليل على وجود العرب واستيطانهم في تلك المنطقة.٤

وبالإضافة إلى المدن الإسلامية، أنشأ العرب أيضًا قرى واستوطنوا فيها، حيث وجاءت الموارد من بعض المناطق المذكورة خاصة في شرق إيران ومن بين العوامل الأخرى لنمو المدن، تجدر الإشارة إلى هروب أو هجرة القرويين إلى المدن. وبعد اعتناقهم الدين الجديد وحرمانهم من حقوقهم الأساسية، من أجل استعادة وضعهم

(١) والحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعدن الجوهر، ترجمة أبو القاسم بيانده (بيروت، شركة الترجمة والنشر، ١٣٤٤ هـ) ج ٢، ص ١٦٩.

الاجتماعي وتحقيق أحوال مادية أفضل، توجه هؤلاء الناس إلى المراكز والمدن التي تستقر فيها القبائل العربية والمسلمون الجدد، والتي كانت ذات أهمية اجتماعية وثقافية وثقافية[1]. العواقب الاقتصادية.

وكان أهم تأثير للإسلام على العلاقة بين المالك والفلاح هو أنه بقبول الإسلام، تم إعفاء الرعايا من دفع الجزية، وتحرروا من رباط الاعتماد على الأرض، ومن ثم توافدوا على المدن وقاموا بالأعمال الخدمية. ٦ وأدى وجود هؤلاء الأشخاص، من ناحية، إلى توسع المدن، وهي المدن التي كان غالبية سكانها من الإيرانيين المسلمين الجدد، ٧ ومن ناحية أخرى، أصبحت هذه المدن مهد التطورات الاجتماعية في الإسلام. بالإضافة إلى ذلك، كان لدى الأشخاص الذين هاجروا إلى هذه المناطق مهارات وقدرات مختلفة، مما أدى إلى تطور المهن والمهنية في هذه المراكز[2].

يؤدي بناء المدن الجديدة واستيطان العرب والإيرانيين في هذه المدن إلى الازدهار الاقتصادي أصبحت مناطق، إذ في عهد خالد بن عبد الله القصري (١٢٠-١٠٥هـ) حاكم العراق، بنيت أسواق كثيرة واعتبر لكل فئة من التجار حمالاً وحمالاً، وكانت المدن مأهولة.

ولذلك، فإن العملية العملية المتزايدة للتطور الحضري في الإسلام، بالإضافة إلى تحويل المعسكرات العسكرية الأولى إلى مدن، تسارعت أيضاً استيطان العرب والإيرانيين على أطراف المدن القديمة والحديثة، وفي الأيام الخوالي، كان المهاجرون العرب يشكلون المهمشون، ولكن مع مرور الوقت واكتساب العرب قوة سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية في إيران، بالإضافة إلى العرب، انضم الإيرانيون

(١) أبو عبد الله حمزة الأصفهاني، التاريخ السني لملوك الأرض والأنبياء، ترجمة جعفر شعار (طهران، مؤسسة فرهنك إيران، ١٣٦٦) ص٩٩.

(٢) والحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعدن الجوهر، ترجمة أبو القاسم بيانده (بيروت، شركة الترجمة والنشر، ١٣٤٤ هـ) ج ٢، ص ١٦٩.

والمقيمون السابقون في المدن أيضًا إلى هؤلاء السكان، لأنه مع وصول العرب إلى إيران واستيطانهم في المدن، اضطر العديد من السكان الأصليين إلى مغادرة المدينة، مما أدى إلى تطور المدن أو إنشاء مدن جديدة، ومن ناحية أخرى، كانت هجرة القرويين، على الرغم من أنها تسببت في نمو المدن في البداية وازدهارها التجاري والاقتصادي، إلا أنها تسببت في مشاكل على المدى الطويل. وتسبب هروب أهالي القرية إلى المدن في أضرار جسيمة بالحقول والزراعة.

ومن ناحية أخرى، فإن التواجد الكبير لهؤلاء الأشخاص في المدن، بالإضافة إلى اختلاط التركيبة السكانية، جعل هذه المدن تواجه أزمة اقتصادية وتضخما وارتفاعا في الأسعار. وبالإضافة إلى هذه المشاكل، فإن الحملات العسكرية المكلفة في أواخر العصر الأموي وخاصة في عهد قتيبة إلى مناطق عبر النهران وحدود الصين ساهمت أيضاً في هذا الوضع الحرج، حيث وصل سعر الفول إلى أعلى مستوياته منذ زمن إمارة قتيبة على خراسان[1]. ومن ثم في عام ١١٥، نتيجة للمشاكل الاقتصادية، انتشرت المجاعة والفوضى في جميع أنحاء خراسان، وخاصة مرو، حتى وصل سعر قطعة الخبز الجاف إلى درهم واحد.

(١) محمود آبادي، أصغر، "المؤرخون وحدث القادسية"، ترجمة بروين كنابادي، طهران، دار الفكر، ٢٠٠٣، مجلة التاريخ الإسلامي، خريف ٢٠٠٨، ص٢٢١

الخاتمة

ولعل أهم تأثير لسقوط الإمبراطورية الساسانية هو وصول القبائل العربية إلى إيران. هجرة القبائل العربية إلى إيران، كان لهؤلاء العرب الذين كانوا من قبائل مختلفة ولهم طقوس مختلفة وأفكار وأهداف مختلفة، تأثيرات كثيرة على المجتمع الإيراني وتأثروا بالكثير. ومن بينها يمكن أن نذكر التفاعل والعلاقات الاجتماعية، وزيادة ونقصان السكان وتغير التركيبة السكانية، وتحول الطبقات الاجتماعية، وحركة ونزوح السكان داخل إيران وخارجها، والتأسيس والنمو وتوسع المدن.

المصادر

١) أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٩٨٠ م]، الطبعة: الثانية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، بيروت، دار التراث.

٢) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، بعد ٢٩٢ هـ/ ٩٠٤ م): تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل المنصور، الطبعة الأولى، دار الزهراء، قم المقدسة، ١٣٨٧ هـ، الجزء ١.

٣) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق، عبد الله أنيس الطباع، (مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧ م)، ص ٧٧ ـ ٧٨؛ ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت، ٣٥٠ هـ/ ٩٦١): صورة الأرض: (مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٩٢ م).

٤) عبد الله حمزة الأصفهاني، التاريخ السني لملوك الأرض والأنبياء، ترجمة جعفر شعار، (طهران، مؤسسة فرهنك إيران، ١٣٦٦) ص ٩٩.

٥) أبو حنيفة، أحمد بن داود الدينوري (ت ٢٨٢ هـ): الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي – مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ م١٨٨٨

٦) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨ هـ)، الفهرست، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، ط١، (دار الفكر، طهران، ١٣٦٦ هـ)، ج١.

٧) الدكتور جواد علي (ت ١٤٠٨هـ)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط١، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ ه)، ج٦.

٨) علي بن أحمد (ابن حزم الأندلسي)، جمهرة الأنصاب العرب (بيروت، دار الكتاب العالمية ت ١٤٠٣هـ).
٩) آربري، (تصنيف) ميراث ايران، مقالات كتبها ١٣ من المستشرقين، ترجمة احمد بيرشك وآخرين، طهران، شركة ترجمة ونشر الكتب، ١٣٣٦ هـ.
١٠) ابن البلخي، فارس نامه، ترجمة: محمد حلمي، الطبعة الثانية، طهران، عالم الكتب، ١٣٦٣ هـ.
١١) ابن حوقل، ابو القاسم محمد، صورة الارض (رحلة ابن حوقل) تحقيق: جعفر الشعار، الطبعة الثانية، طهران، دار الفكر، ١٣٦٦ هـ.
١٢) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، ترجمة محمد علي سجاد، الجزء الاول، طهران، الإصدارات العلمية والثقافية، ١٣٦٦هـ.
١٣) اشپولر، برتولد، تاريخ إيران في القرون الأولى للإسلام، الجزء الثاني، ترجمة جواد فلاطوري، الإصدارات العلمية والثقافية، ١٣٦٤هـ.
١٤) الأصطخري، ابو اسحق ابراهم، المسالك والممالك، ترجمة، طهران، شركة ترجمة ونشر الكتب، ١٣٤٧ هـ.
١٥) الاصفهاني، حمزة بن الحسن، تاريخ الانبياء والملوك، ترجمة حسن انوشه، الطبعة الثانية، طهران، دار الفكر، ١٣٦٧ هـ.
١٦) برتولد، اسم تركستان، الجزء الاول، ترجمة كريم كشاورز، الطبعة الثانية، طهران، ١٣٦٦هـ.
١٧) باسورث، ادموند كليفورد، تاريخ الغزنويين، الجزء الاول، ترجمة حسن انوشه، الطبعة الثانية، طهران، دار الفكر، ١٣٦٢ هـ.
١٨) باسورث، ادمون كليفورد، تاريخ سيستان، (من مجي ء العرب حتى سقوط حكم الصفارين) ترجمة حسن انوشه، الطبعة الأولى، طهران، دار الفكر، ١٣٧٠ هـ.

١٩) البلاذري، احمد بن يحيي بن جابر، فتوح البلدان، تصحيح رضوان محمد رضوان، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٧٨.
٢٠) بولت، ريتشارد، رحلة إلى الإسلام في العصور الوسطى، ترجمة محمد حسين وقار، الطبعة الأولى، طهران، دار النشر في ايران، ١٣٦٤ هـ.
٢١) پيگولوسكايا، المدن الايرانية، ترجمة عناية الله رضا، الطبعة الأولى، العلوم الثقافية، ١٣٦٧ هـ.
٢٢) تاريخ سيستان، المؤلف مجهول، تصحيح ملك الشعراء بهار، الطبعة الثانية، طهران، دار الجديده، ١٣٦٦هـ.
٢٣) الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل، تاريخ الثعالبي، ترجمة محمد الفاضيلي، طهران، دار العلم، ١٣٦٨هـ.
٢٤) الجاحظ، ابو عثمان، الحيوان، الجزء الثاني، حققه فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢ه (١٩٨٢.) حتى، فيليب، تاريخ العرب، الجزء الاول، ترجمة ابو القاسم پاينده، الطبعة الأولى، تبريز، حقيقة، ١٣٤٤هـ.